خطاب الحب في العصر العباسي بين المتن والهامش (مقاربة ثقافية)

الباحثة زهراء أمير طعمة

أ.د.عماد جغيم عويد

جامعة ميسان/ كلية التربية

المدخل :

انتشرت ثنائية المتن والهامش في المجتمع على مختلف النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية ، اعتبرت هذه الثنائية ضدية منذ الأزل ، وهي ثنائية متلازمة فلا ترد اللفظة الأولى إلا بذكر الأخرى ، وتعتبر هذه الثنائية من الألفاظ التي تثير الجدل والغموض ، وتوغلت هذه المصطلحات في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن المجال الثقافي . كان لتباين المجتمع العباسي دور في تقسيم المجتمع لطبقات تباينت فيما بينها من ناحية السلطة والنفوذ والترف التي كانت تتمتع به الطبقة التي عرفت بـ (الأرستقراطية) أو الطبقة الحاكمة , تقابلها الطبقة المعدومة المحرومة من ملذات الحياة والعيش بكرامه فمثلت هذه الطبقة الأغلبية من فئات المجتمع العباسي ، على الرغم من ذلك فقد كان للطبقة المسحوقة (الهامشية) دور في المجتمع العباسي من خلال ما قدمته هذه الطبقة من نتاج شعري تناولته المدونات العباسية حيث شكل وثيقة صريحة وتاريخية لواقع المجتمع آنذاك , ونحن سنتناول خطاب الحب بين المتن والهامش .

المتن لغةً:

هو الشيء الصلب ظهره ، فضلاً عن معناه ما استوي من الأرض وارتفع ، وجمعهمتون ، والمتن :الوتر ، وجيء بمعنى الضرب أي : متنه بالسوط متناً أي ضربه بمعنى ضرباً شديداً 1، وورد في الكتاب الكريم بقوله تعالى(أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) 2 أي الرجل القوي الصلب, فضلاً عن معناه (هو النص الأصلي للكتاب ولا يدخل فيه ما يذكر حوله من شروح وتعليقات أو يذيل تحته بالحواشي) 3

أما في الاصطلاح :

فمثل المتن(المركز) الدائرة الثقافية البارزة بسلطتها وأدبها في المجتمع , وكل

ما خرج عن إطار هذه الدائرة مثل هامشياً , مثل المتن في المجال الأدبي بأنه

(الأدب ألبلاطي ، وأدب يشتغل بحياة الترف ، التي يحياها الخاصة من الساسة ، ورجال الدين أحياناً)4

فضلاً عن انه يعرف بـ (النوع من الأدب الذي يخدم الطبقة العليا في المجتمع ،

ولذلك فهو دائماً محتفى به ومحاط بالاهتمام والحظوة لأنه النموذج المكتمل الذي

يحتذى به لا لكونه بلغ الذروة في كمال التعبير , ولكن لكونه موافقاً للسلطة

ومخططاتها وهو بمثابة وسيلة إشهار ودعاية لها)5 .

تنوعت البيئة العباسية تنوعاً ثقافياً بارزاً شمل نواحي الحياة كافة ' فالانفتاح الذي شهده المجتمع العباسي شمل تأثيره للأدب بالشكل الملحوظ ' فظهرت أجناس أدبية لثقافات أخرى نمت في البيئة العباسية وأخذت صداها ' وقسم المجتمع العباسي إلى طبقات اجتماعية شكلت الهرم الثقافي آنذاك ' الخلفاء العباسيون شكلوا الطبقة العليا أو رأس الهرم ' ثم تلت هذه الطبقة الإفراد المتواجدين تحت ظل الخليفة من أبنائه وزوجاته ووزراء وقواده ... ' وشكل الخلفاء متن المجتمع العباسي ومركزه ' حيث شكلوا فضاء المتن أمام هامش المجتمع ' و شهد الشعر في كنف الخلفاء ازدهار

واسع وذلك لـ(حب الخلفاء للشعر وتقديرهم للشعراء . وتشجيعهم للنظم والإنشاد

وإغداق الأموال بسخاء على القادمين عليهم . والمتصلين بهم والمنتسبين إليهم .

والمنشدين بين أيديهم . ولا ننسى أن أغلب الخلفاء العباسيين كانوا مثقفين ثقافة عالية ...)6

أخذ الخلفاء العباسيون يحثون الشعراء لقولهم الشعر في الحب ' لتصف الشعراء ما

قد يجول في ذهن الخليفة بعيداً عن فضاء السياسة والحكم

(أخبرني عيسى قال حدثنا سليمان قال : قال أبو عمرو: بعث المهدي إلى بشار فقال له : قل في الحب شعراً ولا تطل وأجعل الحب قاضياً بين المحبين ولا تسمِ أحداً , فقال :

اجعل الحب بين حبي وبيني قاضيا إنني به اليوم راضِ

فاجتمعنا فقلت يا حبَّ نفسي إن عيني قليلة الإغماضِ

أنت عذَّبتني و أنحلت جسمي فأرحمِ اليوم دائمَ الإمراضِ

قال لي لا يحل حكمي عليها أنت أولى بالسقم الإحراضِ

قلت لما أجابني بهواها شمل الجور في الهوى كل قاضِ

فبعث إليه المهدي : حكمتَ علينا ووافقنا ذلك ,وأمر له بألف دينار)7

وفي حادثة أخرى روتها المدونة التاريخية في خبر (أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الحسن بن علي العنزي قال حدثني إبراهيم بن عقبة الرفاعي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم التمار البصري قال : دخل المهدي إلى بعض حجر الحرم فنظر إلى جارية منهن تغتسل , فلما رأته حصرت ووضعت يدها على فرجها فأنشأ

يقول: نظرت عيني لحيني

ثم أرتج عليه , فقال: من بالباب من الشعراء؟ قالوا : بشار , فأذن له فدخل ؛ فقال له : أجز: نظرت عيني لحيني

فقال بشار :

نظرت عيني لحيني نظراً وافق شيني

سترت لما رأتني دونه بالراحتينِ

فضلت منه فضول تحت طي العكنتينِ

فقال المهدي : قبحك الله ويحك ؛ أكنت ثالثنا ,ثم ماذا ؟ فقال :

فتمنيت وقلبي للهوى في زفرتينِ

إنني كنت عليه ساعة أو ساعتينِ

فضحك المهدي وأمر له بجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين أقنعت من هذه الصفة بساعة أو ساعتين ؟ فقال : أخرج عني قبحك الله ؛ فخرج بجائزة .)8

وفي حادثة ذكرها صاحب العقد الفريد جمعت محمد بن زبيدة * مع جارية له

(بينما الأمير محمد بن زبيدة يطوف في قصره إذ بصر جارية له سكرى , وعليها كساء خزّ نسجت أذياله , فراودها عن نفسها , فقالت : يا أمير المؤمنين , أنا على ما ترى , ولكن في غدٍ إن شاء الله .

فلما كان من الغد سار إليها , فقال لها : الميعاد! فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار ، فضحك ثم خرج إلى مجلسه ، فقال: مَن بالباب من الشعراء ؟ فقيل له : مصعب و الرقاشي والحسن بن هانئ ، فأمر بهم فأدخلوا ؛ فلما جلسوا بين يديه قال: ليقل كلٌ منكم شعراً يكون آخره : كلام الليل يمحوه النهار ؛

فمن أصاب ما في نفسي فله حكمه ؛ فارتجل الرقاشي **:

متى تصحو وقلبك مستطار وقد منع القرار فلا قرارُ

وقد تركتك صباً مستهاماً فتاة لا تزور ولا تزارُ

إذا استنجزت منها الوعد قالت: كلام الليل يمحو النهارُ

وقال مصعب :

أتعذلني وقلبي مستطار كئيب ما يقرّ له قرارُ

بحب مليحة صادت فؤادي بألحاظ يخالطها احورارُ

ولمّا أن مددت يدي إليها لألمسها بدا منها نفارُ

فقلت لها عديني منك موعداً فقالت في غدٍ منك المزارُ

فلمّا جئت مقتضياً أجابت كلام الليل يمحو النهارُ

وقال أبو نؤاس :

وليلة أقبلت في القصر سكرى ولكن زين السكر الوقارُ

وهزَّ الريح أردافاً ثقالاً وغصناً فيه رمان صغارُ

وقد سقط الردا عن منكبيها من التكريه وانحلَّ الإزارُ

فقلت : الوعد سيدتي فقالت: كلام الليل يمحو النهارُ

فقال : أخزاك الله ! أكنت معنا مُطلعا علينا ؟ فأمر له بأربعة آلاف دينار)9

(السلطة أكرمت أبا نؤاس وأقصت مصعبا ، على الرغم من جمالية أبيات مصعب المتمثلة في التركيب الاستعاري (صادت فؤادي)، والكنائي (لألمسها) الذي كنّى به عن المراودة ، فنص مصعب لا يخدش الحياة , بينما نص أبي نؤاس حمّل بإشارات نصية فاضحة : (سكراى، السّكر ، أردافاً ثقالاً ، رمان صغار ، سقط الردّاء ، أنحل الإزار) وهو ما يلائم توجهات السلطة العباسية فالشاعر قال ما تريده السلطة فأكرم ؟! ، أما الأخر فقال: ما لا تريده السلطة ؟! .)10

فخطاب الحب في فضاء المتن ركز على حسية الحب ، فيميل الخليفة إلى الشاعر الذي يأتي بخطاب حسي فاحش ويكرمه ، كما جاء في شعر أبو نؤاس وهذا يعد أحد عوامل شيوع الحب الفاحش والخادش للحياة وجاء ذلك بفعل تشجيع الخلفاء للشعراء للكتابة على هذا النمط .

وتجسد حب الخليفة العباسي (الذي يمثل متن المجتمع) في نمطين ’نمط تمثل بحب

أمام الملأ ’ ونمط آخر اتسم بحب حياة اللهو وما تتضمن من جواري وغلمان و

غلاميات ' حيث أصبح مجلس الخليفة العباسي المنبر الأدبي لهيئة الشعر في

العصر العباسي ' فكان عناية الخلفاء للشعراء وتقريبهم منهم أثر واضح تجسد

أهميته في مجالس الخلفاء التي كانت تعقد في القصور أو خارجها ' وشهدت مجالس الخلفاء تواجد العديد من الشعراء والعلماء والفلاسفة ' فعدت المجالس وسيلة للتعبير عن الثقافة والفن والشعر , ووسيلة لتبادل الشعر والتقرب من الخليفة بتقديم مدائح تليق بالخليفة للحصول على الأموال التي يغدقها الخليفة .

وعرف المجلس بأنه (مجتمع القوم سواء أكان صغيراً يضم بضعة أشخاص أم كان

كبيراً يتسع لعشرات ' يجلس كبير القوم أو عالمهم أو رئيسهم و يتحلق حوله أو بين

يديه بقية الحاضرين حسب مكانتهم من السن أو المنزلة الاجتماعية أو المنزلة

العلمية)11

اعتبرت هذه المجالس من أهم مسارح قول الشعر والتغني بالحب والعاطفة والشعور الذي كان يعيشه الخليفة ' فقد يبين الخليفة مشاعره اتجاه جارية أو المعشوقة ارتجالا باعتبار أن أغلب الخلفاء العباسيين شعراء متمكنين وذوي باع طويل وجميل في الشعر ' أو من خلال شاعر حذق يستطيع شرح مشاعر الخليفة من خلال أبيات شعره .

كان شعر الحب والعاطفة موضوعاً رئيساً في مجالس لهو الخلفاء ' فكانوا يولونه اهتماماً كبيراً' فقد ظهرت على أحد أستار قصر الخليفة موسى الهادي *كتابة تشرح الحب وما يلم به من ألم الشوق والهوى وما يفعل بالمحب ' كتب على الجدار:

يا أيها الزاعم الذي زعما أن الهوى ليس يورث السقما

لو أن ما بي بك الغداة لما لمست محباً إذا شكا ألما(12)

هكذا كان نظرت الخلفاء للحب وعاطفته فأصبحت المجالس أحدى بيئات تطور هذه العاطفة .

خضع الخلفاء العباسيين لسلطان الهوى ' وذاقت قلوبهم طعم الشوق والحنين إلى المحبوب . (وقد يصل الحب إلى نفوس الملوك كما يصل إلى نفوس الناس فتذل الحبيب كما تذل نفوس غيرهم وتخضع لسلطان الحب '

وتتخلى له عن عظمة الملك وجلاله . و يعمد أصحابها إن كانوا يحبون الشعر ويحسنون قرضه . فيعبرون عن هذا الإحساس بشعر لا يختلف عن شعر غيرهم من المحبين إلا باختلاف مواهبهم ومميزاتهم الشخصية الخاصة . وكذلك قل في محنهم وآلامهم)13

قد يترفع بعض الخلفاء عن قول الشعر ' يحكمه ذلك مكانته السياسية ' إلا أن اغلب الخلفاء العباسيين كان لسلطان الحب والشعر عليهم أقوى من سلطان السياسة ' وربَّ خليفة كان في دولة الشعر ' أعظم منه في شخصيته السياسية .

(وخير شاهد لذلك قول الخليفة الرشيد** ' على الرغم من ما كان عليه الرشيد من مكانه ومنزلة ورفعه ومجد إلا انه اعترف وذكر سلطان الهوى أعز من سلطانه وشموخه ' فيقول :

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكانِ

ما لي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه عززن أعز من سلطاني (14)

يصف الخليفة حالة عند عشقه لثلاث جواري ' ففقد الرشيد سلطانه كونه خليفة وخضع لسلطانهن 'أي سلطان الهوى والعشق) 15 فضلا عن سلطة الخليفة العباسي تزعزعت أمام الهوى وسلطانه :

من لي بأن تعلم ما ألقى فتعرف الصبوة والعشقا

ما زال لي عبداً وحبي له صيرني عبداً له رقا

أعتق من رقي ولكنني من حبه لا املك العتقا(16)

كان للرشيد جارية تدعى بـ ذات الخال ' شغف بها الخليفة وأقسم أن لا تطلب حاجة إلا وقضاها لها فـ (سألته أن يولي حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين ' ففعل ذلك وكتب له عهده به' وشرط على ولي العهد بعده أن يتمها له إن لم تتم في حياته)17

وتغزل الرشيد بجواري يحيى بن خالد * (ضياء ' سحر ' وخنث المعروفة بـ ذات الخال) يقول:

أن سحراً وضياء وخنث هن سحر وضياء وخنثْ

أخذت سحر ولا ذنب لها ثلثي قلبي وترباها الثلثْ(18)

فكان لسيطرت حبهن على قلوب الخلفاء' أثر في استهواء نفوس الخلفاء لقول الشعر ملكت الجواري قلوب الخلفاء والشعراء بأدبهن ' وثقافتهن فضلا عن جمالهن ' فهام الخلفاء بالتودد وإظهار ما في قلوبهم من الشوق والحب والغرام بهن ' حيث تمتعت الكثير من الجواري بثقافة وأدب بالغ ' فضلاً عن جمالهن الجسدي' حاولن إبراز الجمال الروحي المتمثل بقول الشعر وتذوقه ' فاعتبر قول الشعر على ألسنتهن أحد نقاط جذب الخليفة إليهن لمعاشرتهن وعشقهن ' هيمن الشعر على أحاديث الخليفة المأمون* مع جواريه ' فأخذ يقول الشعر والجارية تجيزه له (عرضت عليه جارية شاعرة فصيحة متأدبة شطرنجية ، فساومه النخاس في ثمنها بألفي دينار ، فقال المأمون : إن هي أجازت بيتاً أقوله ببيت من عندها .. اشتريتها بما تقول وزدت فأنشد المأمون :

ماذا تقولين فيمن شفه أرقٌ من جهد حبك حتى صار حيرانا

فأجازته :

إذا وجدنا محبّاً قد أضرّ به داء الصبابة أوليناه إحسانا)19

أخذت الجواري الحيز الكبير في مجالس الخلفاء ' استطاعت الجارية بحسنها وجمالها وظرفها وثقافتها أخذ قلب الخليفة العباسي والتعلق بها ' نجحت بالوصول لقلب الخليفة وحبه واستعطافه عليها ' أصبحت الجارية هي المحبوبة التي يتغنى بها الخلفاء .

خضع المهدي للجواري حتى أنه في خبر له ' من حبه لجارية جعلها بمقام الخليفة ومكانته ' بلغ الأمر به ' أن يصفها بأنها الأمر الناهي في البلاد '

حيث يقول :

فلا والله ما المهد ي أولى منك بالأمرِ

فإن شئت ففي كفيـ ك خلع أبن أبي جعفرِ(20)

أصبح النيل من الجواري ' غاية الخليفة العباسي فلم نشهد بين أبيات الخلفاء

الشعرية مشاعر الحب العربي الصادق كما عهدنا في المجتمع العربي ' بل أصبح عبارة عن غزل فاحش مكلل بالمجون والخلاعة ' غاب فيه حرارة المحبوب ولهفته

لعشيقته ' بل أصبح عبارة عن شهوة بارزة اتجاه الجارية لا تلامس عواطف الحب الصادقة 21 ،

أخذت عاطفة حب الخلفاء مسارها الجديد في مجالسهم ' إذ أخذ هذا الحب يصب في

أطار حب الغلمان . والشذوذ الجنسي . في قصور الخلفاء ' دعت حياة

الترف واللهو التي عاشها العصر العباسي إلى بروز عاطفة شذوذ عرفت بالميل

للغلمان ' الانفتاح الذي حصل في العصر العباسي ودخول ثقافات

مختلفة وعقائد لا تمد للدين الإسلامي بصله كل ذلك يعد من المسببات لشيوع هذا

النوع من العلاقات الغير أخلاقية ' روج النحاسين * لبيع الغلمان وبأسعار خيالية '

فأغلب الغلمان كانوا بجنسيات غير عربية ' وقد اشتهرا المجتمع العباسي هذه الظاهرة

وبدأ تناول الشعراء التغزل وإبراز هذه العاطفة بشكل أبيات حسية وغزل فاحش

والملاحظ على ذلك أن أغلب من تناولوا هذه الظاهرة الشاذة في شعرهم هم شعراء سلطة ' أي مقربين من الخليفة وكنف السلطة.

أقتنا الخلفاء العباسيين الغلمان وهاموا بهم ' أغرق الأمين نفسه بأتباع الهوى مع الغلمان ، فكان اللهو وابتاع الغلمان محور حياته ، فتغنى بحبهم ليلا ونهاراً ، ونظم فيهم أبيات الغزل ، فعد الأمين أول الخلفاء العباسين الذين فتحوا باب الغزل بالغلمان على مصراعيه وشجعوا الشعراء للكتابة فيه22

(قال الصولي: حدثنا محمد بن عمرو الرومي قال: خرج الكوثر خادم الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رجمة في وجهه، فجعل الأمين يمسح الدم عن وجهه ، ثم قال :

ضربوا قرة عيني ومن أجلي ضربوه

أخذ الله لقلبي من أناس أحرقوه

ولم يقدر على زيادة ، فأحضر عبد الله بن أيوب التيمي الشاعر فقال له: قل عليهما، فقال :

ما لمن أهوى شبيه فبه الدنيا تتيهُ

وصله حلو ولكن هجره مرٌّ كريهُ

من رأى الناس له الفضـ ـل عليهم حسدوهُ

مثل ما قد حسد القا ئم بالملك أخوهُ

فأوقر له ثلاث بغال دراهم)23

وللخليفة الأمين شعر لخادمه يقول:

ما يريد الناس من صـ ـب بمن يهوى كثيبِ

كوثر ديني ودنيا ي وسقمي وطبيبي

أعجز الناس الذي يلحـ ى محباً في حبيبِ24

ويذكر أن (كان الأمين لا يتحرج من أن يقول شعراً في أحد غلمانه ويطلب من يجيزه له)25

وذكر أبو الفرج الأصفهاني (أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود ' وكان يكتب لأبي جعفر ' قال: كنت جالساً مع عبد الله بن موسى الهادي ' فمر به خادم لصالح بن الرشيد . فقال له: ما أسمك؟ فقال له: اسمي (لا تسل). فأعجبه حسنه وحسن منطقه ... قال فيه :

عز الذي نهوى وذلّ صبّ الفؤاد مختبلْ

لج به الهجر وذا الـ ـهجر إذا لج قتلْ

من شادن منتطق فاق جمالاً وكملْ

تناصف الحسن به فلا تسل عن (لا تسلْ) (26)

فأصبحت عواطف الحب في هذا النمط كغرائز جسمية ' تتقمصها شهوات جسدية التي بدورها طغت على عاطفة الحب .

برز خطاب الحب عند نساء الخلفاء ' فكان لهن الحضور في ميدان الحب

وجوى العشق 'فنظمن في جميع أغراض الشعر' وكان الغرض الذي أخذ حيز هو

الغزل و الحب ' فكانت عواطفهن مكللة بالصدق والشوق للمعشوق'

والحرقة على فراقه ' فعبرن عن تلك المشاعر بعواطف صادقة وحس عالٍ .

وعرفت (علية بنت المهدي)* أحدى أبرز شاعرات العصر العباسي ' فكانت من

أحسن النساء في قول الشعر وأظرفهن وأعقلهن ' وتعد كونها شاعرة ذات عفة

وأدب بارع 27 ، جادت في قول الشعر وأخذت تصوغ فيه القصائد الرائعة التي

عبرت من خلالها عن أحاسيسها ومشاعرها التي تشرح نار اللوعة والعشق التي

كانت تمر به الشاعرة ' جرى النسق ألذكوري الذي عانت منه الشاعرة ' وأخذت

حيزاً في نفسها على حساب حبها ومشاعرها .

عبرت الشاعرة عن مشاعرها وأحاسيسها الأنثوية ' استطاعت أن تقدم خطاب حب

للمتلقي يشرح الآم والوجع في البوح عن مشاعرها ومكنوناتها العاطفية ' وهذا يعدوا لوجود الهيمنة الذكورية .

حاولت عليه بنت المهدي أن تطلق العنان لمشاعرها ' وتنشرها في هواء الحرية

دون قيد أو خوف ' أرادت أن تتخلص حتى من حياتها المترفة التي تعكر صفوة

مشاعرها وطريقة شرحها للحب والهيام به '

فتقول :

بتُّ قبل الصباح إن بتٌّ إلا في إزار على فراشٍ حريرِ

أو يحل دون ذاك غلق قصورٍ كم قتيل من الهوى في القصورِ(28)

خطاب الحب في الهامش/

شمل التهميش نواحي الحياة المختلفة ' منها تهميش سياسي 'اجتماعي ' وديني ...'و قسم المجتمع العباسي إلى طبقات اجتماعية متباينة في المستوى المعيشي لها 'منها من عاش في رفاهية وترف . وهذا ما نجده في كنف القصور وإلى جانب

مولاة السلطة . وطبقة موازية لها تعايش مع الحرمان والفقر مما ولده طبقة مهمشة

مادياً ومعنوياً من قبل السلطة العباسية ' ولان الشعر يعُد مرآة صادقة لما يعيشه

الإنسان أخذ المهمشين الشعر كأداة لبث ما يعيشونه ويعانونه من مرارة وقسوة العيش

على الرغم من تنوع خطابات الشعراء المهمشين بين خطاب ديني أو اجتماعي أو

سياسي إلا انه يعبر ما يخالج نفس الشاعر من الغصة والألم جراء تعايشه مع وضع التهميش 'مثلت الجواري الطبقة البارزة في التهميش من قبل طبقات المجتمع العباسي ' همشت الجارية منذ تهجيرها من بلادها ' والإتيان بها لغرض بيعها في أسواق النحاسين ' إذا كانت تباع وتشترى وكان الحصول عليها والتمكين منها أمر ميسرا ' عاشت الجارية مهمشة على الرغم من أن بعض الشعراء بل أغلبهن كانت لهن المكانة المميزة في قطر المتن . قصور الخلفاء. إلا إنهن تعايشن حالة التهميش في الوقت نفسه .

نظر المجتمع العباسي للمرأة عموماً نظرة هامشية ' لان الرجل مثل المركز آنذاك '

فلو انتقلنا إلى الإماء الشواعر فنصوص أشعارهن تشرح الكثير من معاناتهن '

فالعلاقة التي قد تعيشها مع الرجل عبرت عن الظلم الاجتماعي لها ' فهي قد تعيش

حالة حب وعواطف مع مملوكها ولكن هذه المشاعر في داخلها حزن دفين ' فهي لم

يحدد مصيرها مع المحبوب ' ففي أي ساعة قد تهدى إلى غيره ' فجيء خطابها

كحالة من التمرد وإطلاق العنان لفيض مشاعرها بالبوح وإطلاق حبها على الرغم

من أنه كان مكبل باليأس والقنوط .

قول أحدى الإماء الشواعر :

وعشقته من قبل قطع تمائمي* متمايساً مثل القضيبِ الناعمِ

وكأن نور البدر سنة وجهه ينمى ويصعد في ذؤابة هاشمِ

وأنا التي لعب الغرام بقلبها فبكت بحب محمد بن القاسمِ((29))

لعب الحب دوراً خطيراً في حياة الجواري ' فشغف به قلوبهن ' واستأنست الروح به ' فجادت الألسن بأوصاف العشق والهيام ' وصورن الحب بجميع تجاربه من العتاب واللوم والشكوى والألم المصاحب المحبوب في رحلة العشق .

جاد صاحب الموشى بمقوله شرح من خلالها السمة الغالبة على حب الجواري **

حيث قال : (حب كذوب وعشقهن عشق مشوب وهواهن منسوب إلى الملل ليس بثابت ولا متصل وإنما هو لطمع وعرض وهن سريعات الغرض)(30)

لـ (عنان الناطفية) **أبيات تبين بها عاطفة الحب والهوى الذي سيطر عليها :

يا لائمي جهلاً إلا تقصر من ذا على حراّ لهوى يصبرُ

لا تلحني أني شربت الهوى صرفاً فممزوج الهوى يسكرُ

أحاط بي الحب فخلفني له بحرة وقدامي له أبحرُ

تخفق رايات الهوى بالرَّدي فوقي' وحولي للهوى عسكرُ((31))

تتجلى معاناة الشاعرة في الأبيات ' وتعكس ما عاشته من ويلات العشق والحب الذي ترك ألأثر في نفسها ' فأنها شربت وارتشفت من شراب الهوى وكأسه إلى حد الثمالة ' فوقوعها في قبضت العشق أحاطها البلاء والهلاك من كل صوب ' وتعيب الشاعرة على لائميها .

فضلت بعض الجواري على كتمان حبها ' واتخذت الصمت عن قول ما يجول بقلبها من مشاعر حب وعشق ' ترى الجارية (فضل)* أن الشكوى من غصص الحب وآلامه للناس يعبر عن الضعف واليأس الذي يمر به العاشق

تقول:

لأكتمن الذي في القلب من غصص حتى أموت ولم يشعر بي الناسُ

ولا يُقال شكا من كان يعشقه إن الشكاة لمن تهوى هي اليأسُ

ولا أبوح بشيء كنت أكتمه عند الجليس إذا ما دارت الكأسُ((32))

ولها أبيات كتبتها إلى سعيد بن حميد ' حيث كانت تكن له المشاعر والحب '

تقول:

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى لاقصرت عن أشياء في الهزل والجدِّ

ولكنني أبدي لهذا مودتي وذاك وأخلو فيك بالبثِ والوجدِ

مخافة أن يغرى بنا قول كاشح عدوٍ فيسعى بالوصالِ إلى الصَّدِ((33))

تخاطب الشاعرة المحبوب ' وتجعل خطابها مجهول ' خوفها من الكاشح (العدو المبطن) من أن يبث حبها ويشهروا ولأنها جارية مملوكة فلا يحق لها أن تبث مشاعرها لغيره .

اتخذت الجواري الزينة والملبس كوسائل لتمرير خطاب الحب من خلاله ' فاستغلت

الجارية . بعد ما انتشرت ظاهرة الكتابة على الأشياء. لباسهن ذريعة لبث

مشاعرهن وشوقهن للمحب ' حيث كانت تتخلل ثياب الجواري عبارات الشوق

والحب (كالذي كانت تفعله عريب جارية بعض الهاشميين وجارية محمد بن عمرو

بن مسعدة التي كتبت مره على طراز ردائها :

أقل الناس في الدنيا سروراً محب قد نأى عنه الحبيب) ((34))

وخبر علي بن الجهم قوله:

(رأيت جارية في بيعة مريم في دار الروميين بمدينة السلام كأنها فلقة قمر خارجة من الهيكل وفي وسطها زنار عليه بيتان :

زنارها في خصرها يطرب وريحها من طيبها أطيب

ووجهها أحسن من حليها ولونها من لونها أعجب) ((35))

لم يسلم الشعر الشيعي من التهميش ، فجاء تهميش الشيعة والتضييق على شعرهم

من قبل السلطة العباسية ، فلم يكونوا شعراء الشيعة على مأمن من قول الشعر فقد

كانوا تحت أعين السلطة العباسية وترقبها ،فأخذ الخلفاء يتهمون شعراء الشيعة

ويرقبون النفس الشيعي ، فقد أصبح من يتهم بالزندقة والكفر أهون عليه من الذي

يرمي بالتشيع والموالاة لأهل البيت ويبدو قمع السلطة واضح في حادثة أبي العتاهية (بعد أن نفاه الخليفة المهدي من بغداد إلى الكوفة أثر تعشقه لعتبه جارية الخليفة ،

الذي يقول فيه:

قل لمن لست أسمي بأبي أنت وأمّي

بأبي أنت لقد أصبحت من أكبر همي

فلم يصرح باسم محبوبته (عتبه) ، خوفاً من الخليفة ، واستبدل الاسم بالإشارة عبر التركيب اللساني (لست أسمي)) (36)

الخاتمة/

في الختام توصلنا إلى نتائج أهمها :

تداولت لفظة المتن والهامش في النواحي الأدبية ، حيث قسم العصر العباسي إلى طبقات اجتماعية مختلفة .

أطلقت لفظة المتن على السلطة العباسية والمقربين منها، حيث شملت هذه اللفظة الخلفاء وأبنائهم وحاشيتهم وكل مواليهم .

شجع الخلفاء العباسيون على تداول الحب ، وحثوا الشعراء لكتابة الأبيات الشعرية الخاصة بخطاب الحب، ونرى ذلك في الحادثة التي جرت بين لخليفة المهدي وبشار.

أصبحت مجالس الخلفاء البيئة الخصبة لبث مشاعر الحب وذلك لغرض إرضاء الخليفة والتقرب إليه .

هام الخلفاء بعشق الجواري ، فأصبحوا ذليلين إمام سلطان عشقهن .

أتسم خطب حب الخلفاء في منحيين ، خطاب حب إمام الملأ ، وخطاب حب فاحش .

أتخذ خطاب حب الخلفاء منحى آخر ، وهو التغزل بـ الغلمان ، فقد توغل خطاب حب الغلمان جسد المجتمع العباسي ، وشجع على ذلك الخلفاء العباسيين.

غيبت أشعار وخطاب حب الطبقة المهمشة من الانتشار ، فكل خطاب لا يمد للسلطة لعباسية يغيب تماما

مارست السلطة العباسية القمع بأنواعه اتجاه المهمشين واختلفت أسباب تهميشهم ما بين أسباب اجتماعية وسياسية ودينية .

الترف الذي وصل إليه المجتمع العباسي ومجالس اللهو ، هي التي شجعت خطاب الحب على الانتشار واتجاه لشعراء للكتابة في موضوع الحب.

الهوامش //

[1] ينظر : لسان العرب , ابن منظور , ج 13 / 398. 399.

[2] سورة الذاريات ، الآية 58.

[3] المعجم المفصل في الأدب ، محمد الونجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1999, ج1, 755 .

4 أدب الهامش نغمة للغناء ... وأخرى للبكاء , لعلى سعادة , مقال منشور في ندوات المخبر , الموقع www.labreception.netفيفري 2010

[5] إشكالية المركز والهامش في الأدب ، عبد الرحمن تبر ماسين , مجلة المخبر , العدد العاشر ، جامعة بسكرة . كلية الآداب ، الجزائر ، 2014 , ص 30 .

[6] الأدب العربي في العصر العباسي ' ناظم رشيد ' دار أقرأ ' دمشق سوريا ' ط 1 ' 2014 ' ص 18 .

[7] الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني, ج / 3 ، تح: إحسان عباس ، إبراهيم السعافين ، بكر عباس, دار صادر ، بيروت ، ط 1، 2002م ، ص 155.

[8] الأغاني , أبو الفرج الأصفهاني,ص 161.

*محمد بن هارون أمير المؤمنين أبو عبد الله الأمين ابن أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي ، ت 299. (فوات الوفيات ، ج 4، ص 46/48).

**الفضل بن عبد الصمد الرقاشي البصري ، من فحول الشعراء ، وله مدح للخلفاء ، ت 200.

(الشعراء المحدثين ، أبن المعتز ت 296، تح : عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت . لبنان ، 1998هـ.)

[9] محو النص ونص المحو (قراءة في أشعار المجانين في العصر العباسي) ، ا.د عماد جغيم عويد ، كلية التربية /جامعة ميسان ، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية ، مج 12، العدد 23 ، 2019 , ص 5،ص4 .

[10] محو النص ونص المحو (قراءة في أشعار المجانين في العصر العباسي) ، ا.د عماد جغيم عويد، ص 5.

[11] مجالس العلماء والأدباء والخلفاء مرآة للحضارة الإسلامية ' يحيى وهيب الجبوري ' دار الغرب الإسلامية ' بيروت ' ط 1 ' 1427هـ . 2006م' ص 38

*(يمكن أن نقسم المجالس إلى أصناف حسب الآداب والعلوم التي تعرض فيها ' فمن ذلك مجالس الخلفاء والأمراء ' وهي مجالس عامة تناقش فيها أمور متعددة دينية وسياسية وأدبية ولغوية وعلمية ' وفق ما يعرض الخليفة أو الأمير ' ووفق المدعوين إلى ذلك المجلس من المهتمين بشأن معين ' ومجالس الأدب من شعر وخطابة وأيام وتاريخ وأمثال ' ومجالس الغناء والطرب ' ومجالس العلم في اللغة والنحو ' ومجالس فلسفية تتناول آراء الفرق والطوائف والمذاهب والنحل وما إلى ذلك) ينظر / مجالس العلماء والأدباء والخلفاء مرآة للحضارة الإسلامية ' يحيى وهيب الجبوري' ص 39.38

*موسى الهادي : أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور ' ولد 169 هـ و ت 170هـ . ينظر: تاريخ الخلفاء : السيوطي ' ص 451.

[12] مجالس اللهو في قصور الخلفاء في العصر العباسي الأول ' فلسطين حسن محمود أبو زهو ' الدراسات العليا ' جامعة النجاح الوطنية ' فلسطين ' 2012 ' ص 67.

[13] الملوك الشعراء في الأدب العربي' سعد علي عبد الماجد أبو الحسن ' رسالة دكتوراه ' جامعة أم درمان الإسلامية ' 2006م' ص 3.

**الرشيد : أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور' ولد ه170 ' ت 193ه. ينظر: تاريخ الخلفاء: السيوطي ص 456.

20 ديوان هارون الرشيد : جمعة وحققه وشرحه سعدي ضنّاوي ' دار صادر' بيروت ' ط 1' 1998' ص 48

[15] ينظر ، الكتابة المنفية دراسة في الشعر على الملابس والأشياء في العصر العباسي ، ا.د عماد جغيم عويد ، جامعة ميسان ، كلية التربية ، ص 314.

22مروج الذهب ومعادن الجوهر' المسعودي ' ج 4 'تح: محمد محي الدين عبد الحميد ' مطبعة السعادة ' مصر 1965م ص 299.

[17] الأغاني ' أبو الفرج الأصفهاني ' ج 16' تح : إحسان عباس ' إبراهيم العافين ' بكر عباس ' دار صادر ' بيروت ' د ط ' د ت ' ص 234.

*يحيى بن خالد : أبو الفضل ' سيد بن برمك ' مؤدب الرشيد ' ت 190. ينظر : وفيات الأعيان'ابن خلكان ' ج6' ص219.

[18]ديوان هارون الرشيد : ص 27.

**المأمون : عبد الله أبو العباس بن الرشيد 'ولد 198ه' ت218ه . ينظر : تاريخ الخلفاء: السيوطي ص485.

[19] تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، ص 506.

[20] ينظر : المجالس الشعرية والنقدية في مجالس الخليفة هارون الرشيد ' عبد الله أحمد الذنيبات ' رسالة ماجستير ' جامعة مؤتة ' 2007' ص 56. 57.

[21] ينظر : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ' أحمد عبد الستار الجواري ' مطبعة المجمع العلمي العراقي ' بغداد ' ط2 ' 1991 م ' ص 291.

*نعمد إلى وضع نقاط داخل البيت الشعري دلالة لحذف الكلمات التي تخدش الحياء ولا يليق بذكرها في رسالة أكاديمية .

[22] ينظر ، مجالي الأدب في قصور الشعراء العباسين ، البشير قط ، ص 106.

[23] تاريخ الخلفاء ،السيوطي ، ص479 ،ص 480

[24] الملوك الشعراء في الأدب العربي : سعاد علي عبد الماجد أبو الحسن ' جامعة أم درمان الإسلامية ' 2006' ص 72.

[25] مجالس الأدب في قصور الخلفاء العباسين ، البشير قط ، ص119.

[26] الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ' ج 10' ص 155 ' ص 156.

* النحاسين : الأشخاص المروجين لبيع الجواري والغلمان

*علية بنت المهدي : علية ابنة الخليفة المهدي بن المنصور ' وهي من نساء البلاط العباسي ' فهي أخت خليفة ' وحفيدة خليفة ' ولدت 160هـ ' وتوفيت 210هـ ' كان لها القدرة على الغناء وقول الشعر حيث تصوغ منه الألحان الرائعة وتعطي شعرها للجواري للتغني به في مجلس الرشيد . ينظر : الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ' ج 10 ' ص 129 .

[27] ينظر : أخبار النساء في العقد الفريد لأبن عبد ربه ' جمع وشرح عبد مهنا وسمير جابر ' منشورات دار الكتب العلمية ' بيروت' لبنان ' ط 3 ' 2005م ' ص 170 .

[28]ديوان علية بنت المهدي : ص 35 .

[29] أخبار النساء : أبن الجوزي ' تحقيق : نزار رضا ' منشورات دار مكتبة الحياة ' لبنان ' 1982 ' ص 219 .

* تمائمي : جمع للتميمة وهي نوع من خرزة كان الأعراب يضعونها للأطفال لطرد العين والحسد ' فالشاعرة أشارت لها هنا بمعنى أنها تعرف حبه قبل أن تكبر .

[30] الموشى الظرف والظرفاء : الوشاء ت325 ' ج 2 ' ص 191 (باب ذم القيان)

**(للقينة أكثر من قلب واحد فهي عاشقة للرجال فرادى وجماعات والأمر بالنسبة إليها على غاية من البساطة ما دام العشق تمويها والحيلة حرفة) ينظر : التقيين في العصر العباسي الأول بالاعتماد على رسالة القيان للجاحظ ' مجلة حوليات ' الجامعة التونسية ' كلية الآداب بجامعة تونس ' العدد28' 1988' ص 261، ص262.

***عنان الناطفية : مولدة من مولدات اليمامة ' جارية الناطفي ' جميلة الوجه وتعد ذات غنج ودلال ' مليحة الأدب والشعر ' ولديها سرعة البديهة . ينظر: الأغاني : الأصفهاني ' ج23' ص84.

****بيت شعري لعنان يجسد التمزق النفسي والألم الذي يمر به المعشوق

تقول: ويبكي فأبكي رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دماً

(غزل الشواعر في العصر العباسي :الأصفهاني' ص79)

[31] ديوان عنان الناطفية : جمع وتحقيق : سعدي ضنّاوي ' دار صادر للطباعة والنشر ' ط 1 ' 1998 ' ص 27 .

*فضل الشاعرة: ولدت بالبصرة ونشأت عند رجل يدعى عبد ألقيس ' كانت من جواري المتوكل' حسنة الوجه والجسم والقوام ' مطبوعة على قول الشعر ' حتى عدت أشعر نساء زمانها . ينظر : الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ' ج 19' ص 215.

[32] المستظرف من أخبار الجواري : جلال الدين السيوطي ' تح: صلاح الدين المنجد ' دار الكتاب الجديد ' بيروت ' 1976' ص54.

[33] غزل الشواعر في العصر العباسي أنماطه وخصائصه : مثنى عبد الله جاسم ' دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ' عمان ' الأردن 'ط1' 2014' ص 37.

[34]اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري : يوسف حسين بكار' دار المعارف ' مصر ' ص49 .

[35] المرأة في أدب العصر العباسي : واجدة مجيد عبد الله الأطرقجي ' مركز زايد للتراث والتاريخ ' الإمارات ' ط1 ' 2002 ' ص 306.

[36] قمع الإبداع الشعري في العصر العباسي ، عماد جغيم عويد ، ص 32

المصادر والمراجع //

القران الكريم

1. اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري : يوسف حسين بكار' دار المعارف ' مصر .
2. أخبار النساء : أبن الجوزي ' تحقيق : نزار رضا ' منشورات دار مكتبة الحياة ' لبنان ' 1982.
3. أخبار النساء في العقد الفريد لأبن عبد ربه ' جمع وشرح عبد مهنا وسمير جابر ' منشورات دار الكتب العلمية ' بيروت' لبنان ' ط 3 ' 2005م .
4. الأدب العربي في العصر العباسي ' ناظم رشيد ' دار أقرأ ' دمشق سوريا ' ط 1 ' 2014
5. أدب الهامش نغمة للغناء ... وأخرى للبكاء , لعلى سعادة , مقال منشور في ندوات المخبر , فيفري 2010 www.labreception.net

الموقع

6. إشكالية المركز والهامش في الأدب ، عبد الرحمن تبر ماسين , مجلة المخبر , العدد العاشر ، جامعة بسكرة .كلية الآداب ، الجزائر ، 2014 ,
7. الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني, ج / 3 ، تح: إحسان عباس ، إبراهيم السعافين ، بكر عباس, دار صادر ، بيروت ، ط 1، 2002م .
8. ديوان علية بنت المهدي، جمع وتحقيق : سعدي ضنّاوي، دار صادر للطباعة والنشر، 1998.
9. ديوان عنان الناطفية : جمع وتحقيق : سعدي ضنّاوي ' دار صادر للطباعة والنشر ' ط 1 ' 1998 .
10. ديوان هارون الرشيد : جمعة وحققه وشرحه سعدي ضنّاوي ' دار صادر' بيروت ' ط 1' 1998.
11. الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ' أحمد عبد الستار الجواري ' مطبعة المجمع العلمي العراقي ' بغداد ' ط2 ' 1991 م .
12. غزل الشواعر في العصر العباسي أنماطه وخصائصه : مثنى عبد الله جاسم ' دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ' عمان ' الأردن 'ط1' 2014.

13. الكتابة المنفية دراسة في الشعر على الملابس والأشياء في العصر العباسي ، ا.د عماد جغيم عويد ، جامعة ميسان ، كلية التربية .
14. لسان العرب , ابن منظور , ج 13
15. مجالس الأدب في قصور الشعراء العباسين ، البشير قط ،اليازوري ، 2009.
16. المجالس الشعرية والنقدية في مجالس الخليفة هارون الرشيد ' عبد الله أحمد الذنيبات ' رسالة ماجستير ' جامعة مؤتة ' 2007.
17. مجالس العلماء والأدباء والخلفاء مرآة للحضارة الإسلامية ' يحيى وهيب الجبوري ' دار الغرب الإسلامية ' بيروت ' ط 1 ' 1427هـ . 2006م.
18. مجالس اللهو في قصور الخلفاء في العصر العباسي الأول ' فلسطين حسن محمود أبو زهو ' الدراسات العليا ' جامعة النجاح الوطنية ' فلسطين ' 2012 .
19. محو النص ونص المحو (قراءة في أشعار المجانين في العصر العباسي) ، ا.د عماد جغيم عويد ، كلية التربية /جامعة ميسان ، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية ، مج 12، العدد 23 ، 2019 .
20. المرأة في أدب العصر العباسي : واجدة مجيد عبد الله الأطرقجي ' مركز زايد للتراث والتاريخ ' الإمارات ' ط1 ' 2002.
21. مروج الذهب ومعادن الجوهر' المسعودي ' ج 4 'تح: محمد محي الدين عبد الحميد ' مطبعة السعادة ' مصر 1965م .
22. المستظرف من أخبار الجواري : جلال الدين السيوطي ' تح: صلاح الدين المنجد ' دار الكتاب الجديد ' بيروت ' 1976.
23. المعجم المفصل في الأدب ، محمد الونجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1999, ج1.
24. الملوك الشعراء في الأدب العربي : سعاد علي عبد الماجد أبو الحسن ' جامعة أم درمان الإسلامية ' 2006.
25. الملوك الشعراء في الأدب العربي' سعد علي عبد الماجد أبو الحسن ' رسالة دكتوراه ' جامعة أم درمان الإسلامية ' 2006م.
26. الموشى الظرف والظرفاء : الوشاء ت325 ' ج 2 ' د ط ، د ت.